

عرفوا الحقوق وسكل عارفة
ولاصكري آياتها مكشفت
حكم سدوت بالحق اسمها
الداعيات لكل سالفه
اخلاق علامين ان وعدوا
قوم انا ما الضيم اوترهم
لا يلف المعروف بينهم
لا يأسفون على فسأهم
لنهم الى العلياء متوجه
لم يقيموا بالحلقت قبولهم
ترف ضسأثرهم فسأبطروا
حكم مفخر أسدوه مخزعا
محمد باقر الشيباني

العشائر

القاطنة بين بغداد وسامراء

Les Tribus Nomades qui se trouvent entre Bagdad
et Sâmarra.

أخطورة البحث

البحث عن العشائر والقبائل الصغيرة المجهولة النسب، من اصعب الابحاث، وبالاخص العشائر القاطنة في اطراف العراق، من اللائي قد ضاع نسبها باقسامها الى اقحاذ، وبعلون، وعمار، واختلط حابلها بنابلها، ونشت بينا الاخلاق الغربية، والموارد المستهجنه، باختلاطها بسكان المدن الذين هم خليط من اقوام مختلفه، وشعوب متفرقة، ولم يقف الباحثون، الذين يهمهم امر هذه البلاد وسكانها، الا وقوقاً طفيفاً على انساب تلك القبائل الحقيقية، وماضيا، واداتها، واخلاقها. ذلك لان اكثر هذه القبائل قد خيم الجهل في ربوعها، وضرب ستاراً كثيفاً على عقول افرادها، فحجب ابصارهم عن

ادراك حقيقة ماضيهم ، حتى جعلهم لا يعرفون من هذه الحياة امراً سوى القتل ، والنهب ، والسلب . ولو سألت واحداً منهم عن تاريخ قبيلته ، ونسبها ، وتاريخ الاراضي القاطنة فيها ، وعن السبب في تسميتها ، باسمها الحالي ، لما أمكنك ان يجيبك عن سؤالك بشيء ، وبقي واحداً لا يعرف ماذا يشول وماذا يفعل ؟

ومما يزيد البحث صعوبةً وخطورةً : عدم وجود كتاب او رسالة تبحث عن احوال هائلتك القبائل ، وعن اسباب هذا التدهور الذي بدافعها ، من تفرقهم الى بطون ، وانحياز ، وعمائر ، وجماعات . وهناك اسماء محرفة ، مشوهة ، تزيدك ارتباكاً وضلالاً . واذا وجدت شيئاً من ذلك ، فهو لا يبطلك النقاب عن تلك المعينات . ولا يهديك الى ضائتك المنشودة ، وظايتك المطلوبة . وزيادة على ذلك ، ان الحكومة السابعة ، صاحبة البلاد ، لم تكن تعرف من امر هذه القبائل شيئاً سوى ان منهم الزراع ، والغزاة ، وقطاع الطرق ، وان منهم من يطعمونها ، فنضرب عليهم الرسوم الفادحة والضرائب الثقيلة ، فتقتل كاهلهم بالديون ، وتجعلهم يشنون من وطأة الفقر عليهم . وان منهم من يصون امرها ، فكانت تسوق عليهم الجنود فتزجج امامهم الحامس المصبون ، واما بتثبيت تلك القبائل في اطراف البلاد ، فينتشر عقد جامعتها ، ويذهب بذلك نسبها ، ويحجى تاريخها ، ويجو عصبيتها وجامعتها ، وتندرس اطلالها ، وتغنى رسومها .

وعندى انه لولا عصبية من دهاقين الغرب النقيين ، وقفة من اساطين الشرق الباحثين ، تتبع الحوادث ، وتعيد الشارد والوارد منها ، ويبحث من غير كلل ولا ملل عن احوال تلك القبائل ، وتاريخها ، ونسبها ، فثقل لنا الصواب وتزول عنها العقبات ، بما كشفته من الاسرار الغامضة ، فذهب تاريخها ، كما ذهب من قبلها تاريخ ماد وعمود ، وسائر الامم البائدة . الا ان ابحاث اولئك النقيين ، وبإيها للأسف ! محصورة في بعض المشار التي تراجع الكويت ، وتردد الى البلدان الساحلية ، ولم تتعرض لغيرها .

ومن القبائل التي لم يهتد اليها كبار الباحثين ، ولم يعرف تاريخها عظماء الاجتماعيين ، القبائل القاطنة في شقف دجلة ، بين بغداد وسامراء (او سر

من رأى) وهي موضوع بحثنا ، ولصعوبة ووعورة طريقه ، نستطيع القراءة عذراً ، مما يبدو لنا من الغلطات ، والتهفوات ، ولما كانت هذه القبائل كثيرة الاختلاط بعضها ببعض ، والحصول المستحكمة في قبيلة ، مستحكمة في أخرى ؛ والبحث عن اخلاق وعادات قبيلة ، كالبحث عن جميعها ، اردنا ان نورد هنا البحث عنها بجملاً ، ونأتي بعد ذلك بما نعرفه من مصيبتها ، ومشتاها ، واقامتها ، وترحالها ، وزروعها ، وحاصلاتها ، وعدد رجالها ، ورؤسائها مفصلاً وعلى ذلك نقول :

٢ - حالتها الاجتماعية

من طبيعة البلاد التي يحل فيها الرزق ، وتشتد الفاقة بسكانها ، وبمع الخراب اراضيها ، ان يشتغل القاطنون فيها بالتقل والارتمال ، من مكان الى آخر ، طلباً للرزق وللحصول على المعيشة الضرورية ، ومن اجل ذلك كان اكثر الاعراب رحلاً ، وهم سكان البادية الجرداء الخالية من كل نهر ونبوع ، يتنقلون من قطر الى آخر ، للاسراع ، والافتلاء ، ومن طبيعة اشتداد الفاقة التنزع ، والتنافس ، وعلى هذا المبدأ ابن احوال جميع الاعراب ، فانهم لما كانوا قليلي الاعتناء بالامور الزراعية التي تزيد رفاهيتهم ، اشتدت الفاقة بهم ، فتولد من ذلك الحسام ، والقتال على الاراضي والبياء والمواشي والانعام . حتى عد ذلك من خصالهم وصفاتهم ، واهذا لم يعدوا القتل والنزوة سبة او امرأ كبيراً لا يعتيادهم ايها . وكما اتاح الجهل لهذه الجروب فرصة ، ثارت نيرانها ، واندلعت السنة لهيبها ، ولو حدث بعضها في بلد آمن قد ضرب العلم فيه اطناباً ، وخيمت المدينة في ربوعه ، بعد امرأ ذابال ، يثر القوس ، ويستوقف الانظار . — وعليه فان هذه الشجاعة وهذا الاقدام الذين يديهما الاعراب في حروبهم وغزواتهم هي نتيجة تمرنهم عليها ، اذ ان الانسان قابل لكل شيء . وهذه المشائر التي نحن بصددنا قسم قسمين : قسم قد اقتطعوا ارضاً فيزعمونها وبحرثونها ، وهؤلاء هم الذين يتخذون دوراً من الابن ، لحماية حيواناتهم ودوابهم من حرارة القبيظ ، وبرد الشتاء ، ويؤتوا للسكنى بصطونتها في ايام الصيف ، من عروق السوس والماقول (نوع من الشوك

اخضر اللون) يرشون عليها الماء، فيجد الساكن فيها لذة عجيبة ، لان الهواء يأتيه من منافذ الماقول بارداً نقياً ، ولو كانت حرارة الشمس شديدة الوطأة . وفي الشتاء يرحلون من الاراضي الوطية الى الاراضي المرتفعة ، التي لا تصل اليها المياه ، عند فيضان دجلة ، فيكونون في مأمن من الفرق ، ومع ذلك يكثر فيها النيات والعشب فتكون مرعى لحيواناتهم . — ويأخذون حينئذ لسكناهم بيوتاً من الشعر وزان (سب) تقام على اعمدة من الخشب ، لا يتجاوز طولها مترين ، يقيم برد الشتاء . وهؤلاء بطيبتهم هادئون ، قليلو الفرو ، لا اشتغالهم بالزرع والحراث ، وتربية المواشي ، عما يقضيهم عن طرق ابواب السلب والنهب . وسمى ابن خلدون مثل هؤلاء البدو « اهل مدر » . والقسم الاخر يمتون بتربية الاغنام ، والابل ، وسائر الازنعام ، يتفقدون بلياتها ، ويتجرون باصوافها ، ويندر بينهم ان يستقروا بارض واحدة ، بل دائم التنقل والارتحال ارباباً للمنتجع . ولما كان الارتزاق من الازنعام ضيقاً ، ومن طيبة ضيق الرزق التنازع فيه رأيت دأب هؤلاء البدو الفدارات ، ونهب المواشي بعضهم لبعض .

٣٠٠ اسماء القبائل واخلافها وعاداتها

العشائر القاطنة في ضفاف دجلة ، بين بغداد وسامراء كثيرة ، وهي مختلفة في مصيبتها ، ومشاها ، واتجاعها ، واقتلاها ، وزروعها ، وارضيتها ، بقدر ما هي متفقة الكلمة ، ومربوطة بعضها ببعض بجامعة واحدة . وهي الجامعة العربية بالوجه الاخص ، والعمانية بالوجه الاعم . واما اخلاقهم فهي كاخلاق سائر العرب اى الكرم ، والوفاء ، واداء الامانة ، واکرام الضيف ، والاباء ، وحسن الجوار ، واطالة الفقيه ، والمداومة عن الدخيل . ومن طبيعتهم الشجاعة ، والاقدام ، والنيات ، والصبر على اللغات . ولهم عادات لاتزال مستحكمة فيهم منذ صدور الجاهلية ، والاطلاع ضريب على خفيات الامور ، كاقباقفة مثلاً فانهم يزعمون ان الولد اذا ولدته امه يجب ان يكون بين هيمته وهيمته ابيه تقارب في الهيكل ، والشكل ، والطول ، والقصر . والقباقفة علم يؤخذ بالحدس والتخمين ، لا بالاستدلال واليقين ، ولهذا يعتبر من شر العلوم

لا يقوم على الظن من الامور الكبار . والقيافة من المعلوم التي كانت قبل الاسلام ؛ ومختصة بيني مداح ومضر بن زرار ومهم تعلمته القبائل العربية . وهي كثيراً ما هتكت الحرائر ، وفضحت المصاهرات ظلماً وزوراً . وهؤلاء لا يزالون عاكفين على هذا العلم المستهجن ، وكثيراً ما اتهموا زوجاتهم بالمنكرات التي لاحقيقة لها البتة ،

واما ما يتماق بسخائمهم ، فهم سحر الالوان المشربة بحمرة صبيحو الوجوه ، سود العيون كبارها ، حادو النظر ، لؤاؤبو الاسنان ، قهوي الابدان ، رحيبو الصدور ، ضخام الجئة مع طول ، ويقبل بينهم القصارم ولهم حفاقة ومهارة عجيبه باصابة الرمي ، كثيرو الصبر على الغلما ، والجوع ، والعري ، والحرق ، والبرد . وهم يصفرون شعورهم « قصائب » اي جدائل ، ويرسلونها على اقفصهم ، او على جانبي رؤوسهم او على خديهم ، ويسرحون لحاهم ، ويخففون من شواربهم ، ويقتلون لحوم الابل ، والضان ، ويتخذون بالباتها . ومن اشهر تلك القبائل : بنو تميم ، والمجموع ، والبيدان ، والحلياب ، والسمود ، والبوستان ، والبو دراج ، والبو عباس ، والبو عيسى ، والبو مليس ، والبو نيسان ، والبو اسود ، والبو باز ، والبو صليبي ، والفوالبية ، والجبور ، والخزرج ، والبو قراج ، والكيشات ، والبو طلحة ، والمزة ، والمشاهقة ، وسيأتي ذكرها مفصلاً .

٤ . المزروعات والحاصلات

تزرع هذه القبائل ارضاً كبيرة ممتدة على جانبي دجلة ، من قضاء الكاظمية الى سامراء من الجهة اليمنى ، ومن ناحية الاعظمية الى سامراء ايضاً من الجهة اليسرى ، وتقدر الاراضي المزروعة على الجانبين بما يزيد على ٢٠ الف فدان . والزرع هناك قسمان : شتوي وشتوي ، فالصيفي يزرع على سفانق النهر وتسقيه المياه التي تجرها السانية ، وهي النافقة ، والبقة ، والبقرة التي يستقى عليها من البئر بواسطة دلو كبيرة ، فيسبحون المساء على المزروعات بالسواقي (بالانهر الصغيرة) وهو ما يسمونه عندهم « بزرع الكروود » . وكان الاقدمون يسمونه « بزرع السبع او زرع السانية » ، والشتوي هو الذي يزرع

في الاراضي المرتفعة البعيدة عن النهر ، الامنة من الغرق ، فتسقيه السماء بما تجود عليه السحب من المياه وهو ما يسمى « زرع الديم » ، وكان يسميه الاقدمون « المذي » ، ولهم نخيل واشجار لا يسلمها سبوح ولا مطر ، فيشرب بعروقه من غير سقي ولا سحار وهو (البعل) . ومن مزروعاتهم الصيفية الذرة ، والدخن ، والسمسم ، واللوبياء ، والماش ، ويقدر محصولات هذه الانواع بما يربو على ٨ آلاف تفار . والخضراوات ، وعنايتهم بها قليلة لقلتها اتفاقها او صرفها وبعد الولاية عنهم . والرقي « البطيخ الاحمر » ، والبطيخ « البطيخ الاصفر او القاون » ، وهذان التوتان مبدولان لكثرةهما هناك ، وسهولة اتفاقهما ، وفي كل سنة يرسل منهما الى بغداد قدر جليل ، ويبلغ قيمة حاصلاتها خمسة الاف ليرة . ومن مزروعاتهم الشتوية القمح ، والشعير والهرطمان ، والعدس ، وغيرها . ومزروعاتهم هذه كلها على الاصول القديمة .

٥ - رسوم الحكومة وضرائبها

كانت الحكومة تأخذ سابقاً من هذه المشاريع رسوماً كثيرة ، وكانت كلها قلية وهي التي حملت الكثيرين من رؤسائها على ان يتدبجوا في المشاريع الرحل هرباً من تلك الضرائب الفاسدة ، وبقيت أكثر الاراضي خراباً ، ولو قشقت عن تلك الاراضي العاصمة الاهلة بالسكان ، لوجدتها اليوم اغلبها فاسدة قفرة . ولو قشقت في دقات الحكومة لما وجدت فيها زيادة في الواردات بل نقصاناً ، وان كان ثم زيادة قاهي الا من تمام موارد اخرى ، او من زيادة مكوس وضرائب . ولو ان الحكومة السابقة خففت من ثقلها ولم تستعمل العنف والشد في تحصيلها ، لعمرت اكثر الاراضي ، ولعمادت على الخريصة بالريخ الكثير ، والمال الغزير . ولو زادت على ذلك اتخاذ الوسائل الناجمة لوقايتهم من الغرق ، فعمرت السدود ، وشقت الجداول ، وكرت الانهار المتدريسة ، لما جاز لنا ان نقدها ونطالبها بشئ . والامل بجهة رجالنا الدستوريين الحاليين ان يتلافوا هذه الاخطار بامرين : اما باصلاح الانهر وانشاء السدود وشق الجداول ، واما بتخفيف الضرائب . وعندى ان العمل بالاول ، يفيد

الحزينة اضطاق ما كانت تحصله الحكومة السابقة بالعرف ، والشدة، والكفاها مؤونة سوق الجيوش، ومحاربة الرعلاء، وازهاق النفوس، ومن ضرب تلك الحكومة التي يؤذيها الاعراب اليوم، انها تأخذ عن كل كرد من الصكرود ٣٠ مجيدياً . والكرد عبارة عن ثلاثة افدنة . ومن حيث ان المزروع ٢٠٠٠٠٠٠ قدان اي عبارة عن ٢٠٠٠٠ كرد ، فاذا ضرب بثلاثين مجيدياً ، بلغت واردات الحكومة من الخاصلات الصيفية وحدها ٦٠٠٠٠٠٠ مجيدى او ما يقرب من ١١ الف ليرة عثمانية . وتأخذ عن المزرعات الشتوية (الديم) الخس ، الا اراضي (عظيم) وزان (زير) ، فانها تأخذ عن شتويها العشر . وتأخذ عن كل رأس من الغنم اربعة غروش صحبحة ؛ وعن كل رأس من الابل قرناً واحداً . وتأخذ رسماً يسنى (البينية) وهي ثلاثة عشر ضرباً صحبحة عن كل رجل متأهل .

ابراهيم حلي

الطيارة في ديار العرب والغرب

Le Cerf- volant, autrefois et aujourd'hui.

جاء في المثل العامي العراقي :

طياره وطياره في السما أو بالسما . (قضايره) خير مبتدا محذوف تقديره : هذا اوهدهم بحسب المشبه، والجملة المقرونة بالواو حالية انى بها لبيان ان التشبيه يكون في هذه الحالة ، ولولا ايها لما صح التشبيه ؛ وذلك ظاهر اذا نظر الى مورد امثل .

والطيارة لعبة شائعة بين سبية العراق، وسائر الآفاق، تتخذ في الاغلب من القرطاس . وتتكون على اشكال مختلفة ، ولكل منها اسم خاص في العراق ؛ فبها ما يسمى بالطيارة العربية ؛ وما يسمى بالطيارة المعجمية (اي الفارسية او الالمانية) ومنها ما يسمى بالطيارة الانجليزية ، ومنها يعرف باسم المربعة ، والمستطيلة ، والمعقوفة ، وغير ذلك .

وكيفية صنعها معروفة لاشتهارها . وهي تسمى بالفرنسية Cerf - volant وبالانكليزية Kite او Paper - kite وباللاتينية Papier - drache وبالاطالية Cervo volante ، وبالاسبانية cometa وباللاتينية Draco volans payraeus